التّواصُل الأدَبيّ

الترّقيم الدّولي الموحّد للمجلّات: ISSN 1112-7597 / رقم الإيداع القانوني: Dépôt légal: 2007-4999

مجلة نصف سنوية محكّمة

تعنى بقضايا الأدب العام والمقارن والنقد والترجمة

تصدر عن مخبر الأدب العام و المقارن
كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية
جامعة باجي مختار / عنابة (الجزائر)

العدد السّابع ديسمبر 2016

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة باجي مختار -عنابة-
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

التواصل الأدبي

الترّقيم الدّولي الموحّد للمجلّات: ISSN 1112-7597 / رقم الإيداع القانوني: Dépôt légal: 2007-4999

مجلة نصف سنوية محكّمة
تعنى بقضايا الأدب العام والمقارن والنّقد والترجمة
تصدر عن مخبر الأدب العام والمقارن

إدارة المجلة: أ.د. عبد المجيد حنون
رئيسة التحرير: د. سامية عليوي

أمانة التحرير:
- **د. سامية عليوي**
- **أ. د. عمار رجال**
- **أ. سليم لسود**

منشورات مخبر الأدب العام والمقارن

العدد السّابع ديسمبر 2016

العنوان: مخبر الأدب العام والمقارن

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة باجي مختار / عنابة

ص.ب. 12 عنابة – 23000 / الجزائر

الموقع الإلكتروني: llgc.univ-annaba.dz

البريد الإلكتروني: ettawassol.eladabi@gmail.com

التّرقيم الدّولي الموحّد للمجلّات: ISSN 1112-7597

رقم الإيداع القانوني: Dépôt légal: 2007-4999

الهيئة الفخرية:

1/ أ.د. مختار نويوات (جامعة باجي مختار – عنابة–)/ الجزائر

2/ أ.د. بيار برونال (جامعة الصوربون)/ باريس

3/ أ.د. حسام الخطيب (جامعة قطر)/ قطر

4/ أ.د. يوسف بكار (جامعة اليرموك)/ الأردن

5/ أ.د. عز الدين المناصرة (جامعة فيلادلفيا)/ الأردن

لجنة العدد العلمية:

1– أ.د. عبد المجيد حنون (ج. عنابة) / الجزائر

2– أ.د. محمّد إبراهيم حوّر (الجامعة الهاشميّة)/الأردن

3– أ.د. رشيد شعلال (ج. قالمة) / الجزائر

4– د. يد اللهي فارساني (ج. جمران، أهواز) / إيران

5– أ.د. وحيد بن بوعزيز (ج. الجزائر 2) / الجزائر

6– أ.د. صالح ولعة (ج. عنّابة) / الجزائر

7– أ.د. عبد الرّحمن تيبرماسين (ج. بسكرة)/ الجزائر

8– أ.د. فاتحة الطّايب (ج. محمّد 5)/ الرّباط، المغرب

9– أ. د. إدريس اعبيزة (ج محمّد 5)/ الرّباط، المغرب

10– أ.د. بينيديكت لوتوليي (ج. لاريونيون/ فرنسا

11– أ.د. عباس بن يحي (ج. المسيلة) / الجزائر

12– د. محمود عبد الغفار غيضان (ج. القاهرة)/ مصر

13– أ.د. عبد الحميد بورايو (ج. الجزائر)/ الجزائر

14– د. محمود حسينات (ج. اليرموك) / الأردن

15– أ.د. بشير إبرير (ج. عنابة)/ الجزائر

16– د. جلال خشّاب (ج. سوق أهراس) / الجزائر

17– د. مديحة عتيق (ج. سوق أهراس) / الجزائر

18– د. فلّة بنعابد (ج. عنّابة) / الجزائر

19– أ.د. عمار رجّال (ج. عنابة)/ الجزائر

20– أ.د. علي خفيف (ج. عنّابة)/ الجزائر

21– أ.د. نظيرة الكنز (ج. الأمير سطّام بن عبد العزيز)/ المملكة العربية السّعودية

22– أ.د. نادية هناوي سعدون (ج. المستنصرية)/ العراق

23– أ. د. عبد الحليم حسين الهروط (ج. العلوم الإسلامية العالمية) / الأردن

24– أ.د. إسماعيل بن اصفية (ج. عنّابة)/ الجزائر

25– د. سامية عليوي (ج. عنّابة) / الجزائر

شروط النّشر في المجلّة

* تنشر المجلة البحوث والدّراسات العلمية الأصيلة التي تعنى بقضايا الأدب العام والمقارن والنقد والترجمة، شريطة ألاّ تكون منشورة بأيّة صيغة كانت، أو مقدّمة للنّشر.
* تنشر المجلة البحوث باللّغة العربية أساسا، وباللّغتيْن: الفرنسية أو الإنجليزية.
* تنشر المقالات المترجمة شرط أن ترفق بالنّص الأصلي.
* تكتب البحوث العربية بخط (Traditional Arabic) حجم16، والهوامش14، وتكون الهوامش في آخر المقال وغير آلية. أمّا البحوث الأجنبية، فتكتب بخط (Times New Roman) مقاس14، والهوامش12.
* يرفق البحث بملخّص عربي، وبملخّص بإحدى اللّغتيْن: الفرنسية أو الإنجليزية، (لا يقل عن خمسة أسطر ولا يزيد عن العشرة)؛ تحدّد فيهما الإشكالية وأهمّ العناصر والنتائج؛ ويُرفق الملخّص بكلمات مفتاحية لا تقلّ عن خمس كلمات ولا تتجاوز العشرة.
* تخضع كلّ البحوث للتّحكيم العلمي، ويخطر الباحث بالنّتائج.
* يتحمّل الباحث مسؤولية تصحيح بحثه وسلامته من الأخطاء.
* لا تعبّر المقالات بالضرورة عن رأي المجلّة.
* يخضع ترتيب الموضوعات لاعتبارات فنّية لا غير
* لا تُعاد البحوث إلى أصحابها نُشرت أم لم تُنشر
* ترسل كلّ البحوث عبر البريد الإلكتروني للمجلة:

ettawassol.eladabi@gmail.com

الـفـهـــرس

الموضوع الصفحة

الافتتاحية 07

الدّكتورة: سامية عليـوي

1. د. عبّاس يداللهي فارساني 11

التّناص القرآني في شعر أبي العتاهية وناصر خسرو قبادياني

دراسة موضوعيّة مقارنة

2. د. محمود عبد الغفّار غيضان 37

الأدب النّسوي الكُوري، قراءة في ديوان "الحياة داخل بيضة"

للشّاعرة "كين سنغ هي"

3. د. هالة بن مبارك 67

الفرديّ والجماعيّ في نماذج من شعر الفلسطينيّات واليهوديّات الشّرقيّات

داخل حدود 1948

4. د. أحمد يحي علي مُحَمَّد 117

المعنى الجمالي للسّيرة في السّرد الرّوائي

دراسة في رواية "حارة الهلاليّة" لمحمّد جلال

5. د. وردة معلّم 167

شعريّة الماء في رواية "واو الصّغرى" لإبراهيم الكوني

6. أ. نادية بوخميس 197

تعدّد الأصوات وصراع القيم في ثلاثية "ياسمينة خضرا" الروائية:

سنونوات كابول، الاعتداء، صفّارات بغداد

مقالات باللغة الأجنبيّة

7. د. نجلاء أبو عجاج Naglaa Abou-Agag 04

Forms of Resistance and Shaping Female Identity
in Pam Gems's Dusa, Fish, Stas,
and Vi and Jakie Kay's Chiaroscuro

8. د. سامية عليوي Samia Allioui 39

« Shéhérazade »: A Transcultural Character

الكلمة الافتتاحية

سنبلةٌ سابعة تُضاف إلى السُّنبلات الخُضر التي ادّخرنا لقرّائنا خيرَها لأيّام القحط، علّها تشبع فضولهم، وتروي تعطّشهم للقراءة والمعرفة؛ هكذا، تُطلّ مجلّة "التّواصل الأدبي" على قرّائها في عددها السّابع، بثروة من المقالات تنوّعت بين مجالاتٍ عدّة وبلغات ثلاث.

وتظلّ مجلّة "التّواصل الأدبي" متعطّشة إلى مقالات وبحوث تثري أعدادها، متلمّسة حاجة القرّاء إلى ما يُنشر على صفحاتها، سعيدة بهذه الكوكبة من الباحثين الذي أثروا العدد بدراسات تحسب أسرة التّحرير أنّها تضيف شيئا جديدا.

ويظلّ المتلقّي دوما محطّ اهتمام "التّواصل الأدبي"، إذ بمستوى رضاه ترقى "التّواصل الأدبي" وتزداد تألّقا، وبملحوظاته تزداد إصرارا على التّطوّر، وتسعى إلى مواكبة ركب المجلاّت العالمية، محاولة ألاّ يتأخّر عدد عن الأعداد السّابقة في ثرائه وتنوّع موضوعاته.

نقرأ في هذا العدد ثماني مقالات، توزّعت على لغات ثلاث: العربية والإنجليزية والفرنسية، وتنوّعت موضوعاتها بين أجناس أدبية ثلاث: الشّعر والرّواية، والمسرح.

أمّا الجزء الأوّل من المجلّة، فقد ضمّ ستّ مقالات باللّغة العربية، ثلاث منها في جنس الشّعر، نقرأ فيها: مقالا يندرج في مجال الأدب المقارن بعنوان «التّيناص القرآني في شعر أبي العتاهية وناصر خسرو قبادياني»، يستعرض فيه صاحبه

أشكال الحضور القرآني –أصداء وأنماطا– لدى الشّاعريْن، معتمدا في ذلك دراسة تناصّية؛ أمّا المقال الثّاني فقد جاء بعنوان «الأدب النّسوي الكُوري: قراءة في ديوان "الحياة داخل بيضة للشّاعرة كيم سنغ هي"»، تتبّع فيه صاحبه الحركة النّسوية في كوريا من خلال ديوان واحدة من رائدات الحركة النّسوية في كوريا، عبّرت فيه عن الأزمات السّياسية والاجتماعية والمعاناة النّفسية لإنسان هذا الزّمن عموما، وعن معاناة المرأة خصوصا؛ أمّا المقال الثّالث فقد جاء بعنوان «الفرديّ والجماعيّ في نماذج من شعر الفلسطينيّات واليهوديّات الشّرقيّات داخل حدود 1948»، استعرضت فيه صاحبته الموضوعات الشّعرية التي تفرّدت بها كوكبة من الشّاعرات داخل حدود 1948، الفلسطينيات منهنّ واليهوديات، عارضة المشترك كالموضوعات السّياسية، والممنوعة، متتبّعة مراحل تطوّر الشِّعريْن العربي الفلسطيني والعِبري المعاصر.

أمّا المجموعة الثّانية، فقد اهتمّت بجنس الرّواية بدءا بالبحث الذي حمل عنوان «المعنى الجمالي للسّيرة في السّرد الرّوائي دراسة في رواية "حارة الهلاليّة لمحمّد جلال"»، اجتهد فيه صاحبه في عرض السّيرة والسّيرة الذّاتية من منظور جديد بعيد عن الرّؤية التّقليدية، وذلك من خلال دراسة رواية "حارة الهلالية لمحمّد جلال"؛ أمّا البحث الثّاني فقد اهتم بروايات إبراهيم الكوني، وركّزت فيه صاحبته على رمزية الماء لكشف أبعاده الفلسفية في واحدة من روايات الكوني، فجاء البحث بعنوان: «شعرية الماء في رواية "واو الصّغرى" لإبراهيم الكوني»؛ أمّا البحث الثّالث، فقد تتبّعت فيه صاحبته تجلّيات الصّراعات الاجتماعية والرّؤى المتناقضة، فتنقّلت –في

سبيل كشف تعددّ الأصوات وتباينها- بين روايات ياسمينة خضرا المشكّلة لثلاثيته الرّوائية، فجاء عنوان البحث «تعدّد الأصوات وصراع القيم في ثلاثية ياسمينة خضرا الرّوائية: سنونوات كابل، الاعتداء، صفّارات بغداد».

وقد ضمّ الجزء الثّاني من المجلة الذي نقرأ أبحاثه من اليسار إلى اليمين، بحثيْن أحدهما باللّغة الإنجليزية وحمل عنوان: «صور المقاومة وتشكيل الهوية النّسائية في مسرحية "بام جيمز" ومسرحية "جاكي كاي"»، وهو عبارة عن دراسة مقارنة، تناولت فيه صاحبته صور الهوية النّسائية من خلال المسرحيّتيْن؛ أمّا آخر مقال، فجاء باللّغة الفرنسية، وحمل عنوان «شهرزاد شخصية عابرة للثّقافات»، تتبّعت فيه صاحبته تجلّيات شخصية "شهرزاد" في مختلف الآداب العالمية، والصّور والدّلالات التي اتّخذتها في مختلف الثّقافات.

خضع ترتيب المقالات في العدد لاعتبارات تقنية لا غير، وتنوّعت موضوعاته بتنوّع ما وصلنا من أبحاث، جاءت في مجملها بين جنسيْ الشّعر والرّواية، وسبحت جميعها في فلك الأدب المقارن والنّقد.

كما أنّ المقالات المنشورة في المجلّة لا تعبّر إلاّ عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضّرورة عن رأي المجلّة التي لا تتحمّل مسؤولية ما قد يرد في بعض الأبحاث من أخطاء.

الافتتاحيّة

نتمنّى أن يجد قرّاؤنا في سابع سنابلنا غذاء فكريا وثقافيا يشبع شغفهم للقراءة والاطّلاع، ويثري معارفهم بكلّ جديد نافع، ونهيب بهم ألاّ يبخلوا علينا بانتقاداتهم، فبهم وبآرائهم تمضي المجلّة قُدُما وتسعى إلى المزيد من الرّقي.

وختاما تتقدّم رئيسة التّحرير بالشّكر الجزيل إلى الأساتذة الأفاضل الذين أثروا هذا العدد بكتاباتهم، وإلى جنود الخفاء الذين تتمّ غربلة ما يصل المجلّة على أيديهم، فيختارون لقرّائنا من الجيّد أجوده، فشكرا لقرّاء المجلّة الأوائل؛ والشّكر موصول إلى عضو التّحرير السّيد "سليم لسود" على سهره الدّائم على أن تصدر المجلّة في أبهى حلّة، فله الشّكر الجزيل، وجزاه الله خيرا على ما أنفق من وقت في تزيين وجه المجلّة، وتقويم ما اعوجّ من نظامها.

رئيسة هيئة التّحرير:

د. سامية عليوي

التناصّ القرآنيّ في شعر أبي العتاهية وناصرخسرو قـبـاديـاني

(دراسة موضوعية مقارنة)

د. عباس يداللهي فارساني

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة الشهيد چمران. أهواز/إيران

ملخص:

القرآن الكريم من أهمّ الروافد الفكريّة عند الشّعراء منذ أقدم العصور. يستهدف البحث دراسة ظاهرة التّناص القرآني، أصدائه وأنماطه في شعر أبي العتاهية وناصرخسرو القبادياني في إطار الأدب المقارن. أُعتمد في البحث على المصادر الأدبيّة خاصّة ديوانيهما الشّعريين. يعدّ القرآن الكريم والحديث النبويّ الشّريف من أهمّ المصادر التي استقى الشاعران معظم مفاهيمهما الشّعريّة. تبلور التّناص القرآني في شعرهما بصوره المختلفة، ومن أهمّها التّناصّ بالمفردة القرآنية، والتناص بالتراكيب القرآنية والتناص بالمعاني القرآنيّة.

الكلمات المفتاحية: *التّناصّ القرآنيّ، أبوالعتاهية، ناصرخسرو القبادياني، الأدب المقارن.*

Intertextuality in the poem of Aboaltahye and Naserkhosro qobadeyani

(A Comparative Case Study)

Abstract:

From the earlier time Holy Quran has been considered as an intellectual source for philosophers and thinkers. All poets in all ages have been inspired by this holy book. This study examines Intertextuality in Quran and its effect on the poem of Abolatahye and Naserkhosro in a comparative framework. This study is mainly based on their books. The holy Quran and prophets' s Hadis are two of the sources from which these two poets have accepted their concepts. Intertextuality is present in different aspects such as Intertextuality with the vocabulary or diction of the Quran, and the meaning.

Key words*: Qurani Intertextuality, Aboalatahye, Naserkhosro qobadeyani, comparative literature.*

تمهيد مدخلي للموضوع:

يعتبر الأدب المقارن (Comparative Literature) من أهم المجالات الفكرية والأدبية التي تقوم بمهمة ثقافية تؤدّي إلى تقريب الآداب القومية وتوسيع الآفاق الحضارية والفكرية بين الأمم تعميقًا للعلاقات الثقافية والأدبية وتوطيدها.فمن هذا المنطلق، يعتبر الأدب المقارن «علماً يزوّد القارىء بوسيلة تمكّنه من النظر إلى الأعمال الأدبية المنفصلة في الزمان والمكان دون اعتبار للحدود الإقليمية... محيطًا وملمًّا بالظواهر الأدبية بغضّ النظر عن فضاءاتها ومناهجها المختلفة» [1]

يعتبر التّناص من المصطلحات التي ضربت جذورها في الأدب القديم وليست ظاهرة من الظواهر الحديثة التي جاءت إثر المعطيات الأدبية الحديثة نتيجة تطوّر الأدب والامتزاج بين الأقوام والشعوب، والنّقّاد القدامى عرّفوه بالمسمّيات المختلفة التي تدلّ على أنّهم كانوا عارفين بهذه الظاهرة القديمة، منها الموازنة، التضمين، الاقتباس و..

لا ريب أنّ هنا بعض العلاقات والصلات الوطيدة بين النصوص والتناصّ بمختلف صوره، فالتناصّ يمهّد السبيل للقارىء أو الباحث بإنتاج الموضوعات والمفاهيم الجديدة ضمن النصوص الأخرى، قديمة كانت أو حديثة «فأيّ نصّ جديد في أيّ مجال من المجالات ما هو إلاّ حصيلة لتفاعل خلاّق بين منشىء هذا النص ونصوص أخرى سابقة عليه»[2].

تشكل هذه الدراسة محاولة للوقوف على ظاهرة التّناصّ القرآنيّ في شعر أبي-العتاهية وناصرخسرو القباديانيّ في إطار الأدب المقارن على أساس المنهج الوصفيّ التحليليّ، معتمدةً على المصادر الأدبية وفي مقدمتها ديوانيهما الشعريين لتسليط الضوء على صور تأثرهما بالميراث الدينيّ خاصّة القرآن الكريم من ناحية الشّكل

والمضمون في نتاجهما الشعريّ. أخيراً خلص البحث إلى أنّ هذين الشاعرين وظّفا التراث القرآنيّ في شعرهما لأغراض مختلفة، من أهمّها الإنابة إلى الله تعالى إثر ما قدّما فترة من الحياة من الذنوب والمعاصي، والتعبير عن حاجة الأمم المسلمة إلى تعاليم الدين الحنيف ودورها في رقى المجتمع الإسلاميّ. استلهم الشاعران كثيراً من معاني القرآن الكريم وألفاظه وأفادا منها في إغناء اللغة والصّور.لم تجر دراسة مستقلة حتّى الآن حول التّناصّ القرآنيّ بهذا الشّكل الذي تناولنا فيه الأنماط المختلفة من التّناصّ القرآنيّ (المفردات القرآنيّة، المعاني القرآنيّة، التراكيب القرآنيّة) في شعرهما، خاصّة في إطار الأدب المقارن.

لم يقتصر التّناصّ القرآنيّ في شعرهما على الموضوعات الإسلاميّة ومفاهيمها فحسب، بل امتدّ ليشمل الموضوعات الاجتماعية والسياسية والوجدانية أيضاً؛ فقد ساعدتهما الثّقافة القرآنيّة والدّينيّة على تصريف مناحي القول الشعريّ والتعبير بسهولة عن مختلف مضامينه وأهدافه.

بما أنّ أبا العتاهية وناصرخسرو القبادياني يعدّان في بداية الحياة من الشعراء الذين انكبّوا على الملاهي والمجون، وبعد فترة من الزمن تزهّدا وتنسّكا وتركا تلك الحياة العابثة الماجنة، وأقبلا على تطهير الحياة من الموبقات والملاهي، فامتلأ شعرهما بالمضامين القرآنية والإسلامية رجاء الإنابة والاستغفار واتخذا القرآن الكريم والحديث النبويّ بمثابة مصدر زاخر وثرّ إثراء لأدبهما واتساعية للنّص الشعري.

نظرة موجزة إلى حياة أبي العتاهية وناصرخسرو وأحداث عصرهما:

يعتبر أبو العتاهية من أبرز وأهمّ الشعراء العراقيين الذي ولد وترعرع في حضن الأدب في العراق. ولد الشاعر بداية القرن الثاني للهجرة (130ه) وتوفّي سنة (211 ه). عاش الشاعر بيئة أحيطت من قبل التّيّارينِ: تيّار اللّهو والمجون وتيّار الزّهد

والتّقشّف. انكبّ الشاعر في عنفوان شبابه على تيّار اللهو والمجون واختلط بالمجّان وأخذ بنصيبه الوافر من اللهو والملهيات الدنيوية الفانية. فإذا هو ترك الدنيا ومتاعها الزائل إثر صحوة روحية وانخرط في سلك الزهد والنسك وأنهى بقية الحياة في طاعة الله تعالى والإنابة والاستغفار مما اقترف في الحياة من ذنوب وأخطاء.

شهد أبو العتاهية الحياة السياسية المتدهورة المضطربة التي عاشها المجتمع العباسيّ إثر الفتن والثورات ورأى بعينه رؤوساً قطعت وأشلاء تتناثرت وأرواحاً زهقت وبادت، فانطبعت في كيانه هذه الصور القاتمة السوداء منذ ذلك الوقت وتكوّنت في نفسه صورة قاتمة لمصير الإنسان في الحياة، ذلك المصير هو الذي شغله فترة طويلة[3]. امتاز عصره بانتشار موجات اللهو والعبث من جانب، وسيطرة الاستبداد والقتل والصراعات العنيفة بين الملل والنحل الفكرية من جانب آخر.

يعتبر ناصرخسرو القباديانيّ من أبرز الشعراء الإيرانيين الذي لمع نجمه في أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجريّ. حاول طيلة حياته أن يملأ أدبه، خاصّة شعره بالموعظة والحكمة والمثل الدينية السّامية. ولد الحكيم ناصر بن خسرو بن حارث القبادياني المروزيّ المكنّى بأبي‌معين والمتخلّص بـ «الحجّة» سنة 394هـ في «قبادیان» من أعمال بلخ، وفي النهاية توفّي سنة 481هـ في «قبادیان» ببدخشان[4].

اتّخذ الشّاعر أدبه سلاحاً لمواجهة النّظام السّائد والكشف عن المظالم والجرائم، إيقاظاً للنّاس أمام الدّسائس وإهراق الدّماء وكبت الحرّيات، فمن جرّاء ذلك انقلب ناقداً سياسيّاً واجتماعيّاً ضحّى بنفسه، حتى اُضطُرّ إلى أن يترك مسقط الرأس. أراد أن يحدث مجتمعاً نموذجياً أعلى ينبني على الدّين الحنيف حتّى يقضي على الجور والتّعصّب الأعمى.

إذا دققنا النظر في المجتمع الذي عاشه أبو العتاهية وناصرخسرو نجد أنّه اتّسم بسمات مشتركة، منها شيوع الصراعات الدينية وكثرة الملل والنحل الفكرية من جانب، وسيطرة التزمّت الدّينيّ والاستبداد والتّشريد من جانب آخر. يعتبر ناصرخسرو في الأدب الفارسيّ من الشّعراء الذين انكبّوا إبّان حياتهم على الملذّات الجسديّة ومغريات الدّنيا، لكنّه بعد فترة من الزمن تزهّد وتنسّك وترك الملذات وأقبل على الزهد وصار من روّاد المذهب الإسماعيلي وتلقّب من قِبَل الفاطميين بـ «حجّة الخراسان». بما أنّه أضفى على أدبه خاصّة شعره مهمّة دينيّة، نراه يملأ شعره بالمضامين القرآنية والمثل الأخلاقية السامية التي تدلّ على سعة ثقافته الدينية والعلمية ومدى تأثّره واقتدائه بالقرآن الكريم ومفاهيمه العليا، من ثمّ يعدّ في الأدب الفارسيّ من الشعراء الذين ملأوا وأثروا أدبهم بالمادّة الفنّيّة المستقاة من القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف.

أنماط التناصّ القرآنيّ في شعر أبي العتاهية وناصرخسرو القبادياني:

يتمحور التناصّ في شعرهما حول المحاور التالية: 1- التناصّ بالمفردة القرآنية 2- التناصّ بالتراكيب القرآنية 3- التناصّ بالمعنى القرآنيّ.

التناصّ بالمفردة القرآنية:

تبوّأ النّصّ القرآنيّ المكانة الأولى بين المصادر الدّينيّة في تشكيل البنية الشعرية عند أبي العتاهية لما يتضمّن على عمق دلاليّ وقدسية في نفس المتلقيّ، وتجلّى هذا النصّ الشريف بصور مختلفة ما بين صيغ فعلية واسمية، وأخذت أكثرها طابعاً قرآنيّاً بحتاً باعتبار أنّ «الألفاظ للمعاني أزمّة وعليها أدلّة وإليها موصولة وعلى

المراد منها محصلة، عنيت العرب بها فأولتها صدراً صالحاً من تثقيفها وإصلاحها»[5].

يمتاز القرآن الكريم بأنّه اختار أعلى وأفضل الكلمات في قوله ولا يمكن أن تُغيّر بكلمة أخرى، وهذا يدلّ على أنّ القرآن الكريم بلغ ذروة الفصاحة والبلاغة، وإنّما هو المثل الأعلى الذي يجب الاقتداء به وهذه الألفاظ تعبّر عن فحواها ومرادها في أدقّ تعبير، ومن هذا المنطلق اشتاقت نفوس الشّعراء إليها ليصبّوا أخيلتهم وكلامهم فيها، لأنّها تعطيهم قدرة متميّزة في التعبير والكشف عن المكنونات.

يتّضح هذا التأثّر بالمفردات القرآنية في شعر الشّعراء العبّاسيين خاصّة أبي-العتاهية، والسّبب يعود إلى أنّ «حفظ القرآن لدى الأكثرية منهم أوّل مرحلة من مراحل التحصيل»[6]، وينمّ هذا التأثّر عن مقدرته وملكته في توظيف الكلمات القرآنية في سبيل الأداء الشعريّ، فنجد أنّ هناك «مفردات لغوية اكتسبت هوامش إضافية نتيجة لدخولها في التراكيب القرآنية حتى يصحّ لنا القول إنّها مفردات قرآنية حتّى بعد تغيّر السّياق، وتغيّر الوظيفة النّحويّة، يظلّ هذا الطابع، فإذا غرست في تركيب ما أشاعت منه بعضاً من هوامشها المكتسبة، ومن ثمّ دلّت على ظواهر تناصيّة»[7].

من نماذج هذه المفردات القرآنية لفظة «تحيد» حيث وردت في شعر أبي-العتاهية قائلًا:

أَرَى الموتَ دَيناً لَه عِلّةٌ فَتِلكَ التي كُنتَ مِنها **تَحِيدُ**[8]

انطلق الشاعر في بناء هذا النصّ بالاعتماد على آليّة الامتصاص، إذ تعامل مع النصّ القرآنيّ تعاملاً حركياً تحويلياً وامتصّ المفردة القرآنية (تحيد) من قوله تعالى:﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[9].

يشير الشاعر في هذا الشطر إلى انغماس الإنسان في ملهيات الدنيا دون التفكير في الحياة الأخرى ويعتبر الموت نهاية الحياة الدنيا ولات حين مناص منه، فجاء التناصّ منسجماً وملائماً مع السياق القرآنيّ بغرس المفردة القرآنية في النصّ الشعريّ، إضافة إلى أنّ توظيف الشاعر لهذه المفردة القرآنية يخدم الغرض ويقوّي المقصود.

يقول في موضع آخر:

أُفٍّ لِلدُّنيا فَلَيسَت لي بِدارٍ إِنَّما الرّاحةُ في **دارِ القَرارِ**[10]

استلهم الشاعر في هذا البيت المفردة القرآنية (دار القرار) من قوله تعالى حيث يقول:﴿يا قومُ إنّما هذه الحياةُ الدُّنيا مَتاعٌ وإنّ الآخرةَ هي دارُ القرارِ﴾[11].

يحثّ الشاعر في هذا البيت المغترين والمتغافلين على عدم الاغترار بالحياة الفانية مستمداً مفردة «دار القرار» للتعبير عن الحياة الباقية الخالدة تنبيهاً وإنذاراً للمنغمسين في الملهيات. جاءت هذه المفردة في سياق تحريض الإنسان على عدم الافتنان والاغترار بالدنيا والابتعاد عن المغريات والرجوع عمّا مضى في الحياة بالإنابة إلى الله تعالى. فأتت المفردة القرآنية «دار القرار» في السياق الشعريّ تلبية للأمر الوارد في الآية القرآنية حرصاً من الشاعر على اكتساب شعره مزيداً من التنبيه وإسداء النصح. لاحظنا أنّ النصّ القرآنيّ ساهم في تشكيل البنية الدلالية للبيت الشعريّ، والنصّ الشعريّ امتصّ المفردة القرآنية ولم يكتف الشاعر بذكرها، بل ذهب إلى ما يحقق مراده من خلال تشكيل تصوراته على أساس النصّ القرآنيّ الذي أسهم في تمطيط النصّ الشعريّ، فساعده هذا الامتصاص على تعضيد النصّ دلالياً.

من الأمثلة الأخرى في شعره ما يقول:

سُبحانَ ربّي **فالِقِ الإصباحِ** ما أطلَبَ المساءَ للصّباحِ[12]

اقتبس الشاعر المفردة القرآنية «فالق الإصباح» من قوله تعالى:﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾(13).

يصف الشاعر في هذا البيت سرعة زوال الحياة الدنيا واستعداد البشر للرحيل الأكبر، فعليه أن يزوّد نفسه بما ينفعه في الحياة الخالدة. يعبّر عن هذا المعنى بتوظيف عناصر الطبيعة حيث يصوّر حالة يطلب فيها المساءُ الصباحَ وكلٌّ يبحث عن الآخر، وهذا يدلّ على سرعة زوال الدنيا ومتاعها الزائل وفناء الدنيا وبقاء الآخرة. جاء التناصّ في الشطر الأول مع الآية الكريمة من خلال لفظة «فالق الإصباح» التي أوردها الله تعالى للدلالة على قدرته وجبروته. هذه المفردة القرآنية عمق من الدلالة الشعرية للكلمة باستحضارها الدلالة القرآنية إلى جانب الدلالة الشعرية الحاضرة. حقّق توظيف هذه المفردة القرآنية تناصّاً شكليّاً ووظيفيّاً أدّى إلى تلاحم واندماج في معناه وغايته مع المعنى القرآنيّ، وكان للتناصّ بهذه المفردة القرآنية أهمية خاصة ودور هامّ في توضيح فكرة الشاعر وتقريبها إلى ذهن المتلقي.

يتّضح لنا من خلال النّصوص السابقة ظهور لغة القرآن الكريم في شعر أبي العتاهية – باعتباره رائد الزهد في الشعر العباسيّ– من خلال استمداد الآيات القرآنية وألفاظها وتوظيفها في الشعر لإضفاء الجمال والبهاء والرونق على شعره ومدّ تعبيره بالطاقات اللغوية مما كان له تأثير عظيم في تقوية نتاجه وتحسين أدائه الشعريّ. وجاءت لغة القرآن الكريم لإثارة المشاعر والأحاسيس النابضة في كيان الشاعر لتكون جزءاً من لغته ومشاعره.

استقى شعر ناصرخسرو حشداً كبيراً من هذه المفردات القرآنية ذات البعد الدينيّ، وهذا يدلّ على أنّ الشاعر ذو ثقافة دينية واسعة، ومن ثمّ تناول امتصاص

دلالات المفردات المتناصّة ليضفي على شعره خطاباً شعرياً ذا قيمة فنية للتأثير في نفس المتلقي. استطاع الشاعر في عملية الخلق الفنيّ أن يتخذ القرآن الكريم مادّة مغذّية لشعره.

يتضح في ثنايا مقطوعاته الشعريّة أنّ القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف من أهمّ المصادر التي أضفت على شعره رونقاً وجمالاً ممّيا تركت بصمة جليّة في صعيد شعره وكيفية تعبيره عن المضامين الدينية السامية.

يقول ناصرخسرو:

از طاعت بر شد به **قاب قوسين** پيغمبر ما از زمين بطحا[14]

أي: بالطاعة ارتفع نبيّنا (ﷺ) إلى قاب قوسين من أرض البطحاء.

استخدم الشاعر في هذا الشطر المفردة القرآنية «قاب قوسين» التي تشير إلى هذه الآية الكريمة: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[15].

امتاح الشاعر من المفردة القرآنية «قاب قوسين» وتأثر بصياغتها الأسلوبية التي زادت نصّه القداسة واسترعت انتباه المتلقي وأحدثت تأثيراً بالغاً من خلال إيضاح القيم الكامنة في ضميره بإيراد الفعاليات التناصية التي أقامها النصّ الشعريّ مع القرآن الكريم حيث يسهل عليه إدراك حقيقة التّناصّ واستحضار الصّياغة الدّلاليّة للأسلوب القرآنيّ. أراد الشاعر أن يشير إلى دور العبادة في حياة البشر، ويأتي بأفضل نموذج في هذا الأمر وهو النبيّ (ﷺ)، قائلًا إنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) تشرف بلقاء الله جلّ وعلا من طريق خالص العبادة. يحثّ الشاعر الإنسان في الحياة الدنيا على العبادة الخالصة والتزوّد بصالح الأعمال لما لها من دور هامّ وبارز في الحياتينِ حيث تؤدّي إلى صعود الإنسان وترقيته إلى المنازل السامية

الرفيعة في الدارينِ. جاءت هذه المفردة القرآنية في شعره مرادفة للتعبير عن ذلك المعنى القرآنيّ. تدلّ هذه المفردة القرآنية على تلك الحالة الدينية وجاء التوظيف لتأكيد الدلالة، لأنّ استخدام المفردة الشريفة أوضح من الإحالة إلى النصّ نفسه.

يقول في موضع آخر:

ور ز نور آفتابش بهره گيرد خاطرت پيش روشن خاطرت مر ماه را عرجون كنى(16)

أي: إذا نال ضميرك نصيباً من شمسه المنيرة، فإنّ القمر لدى ضميرك المضيء يصبح كالعرجون.

استخدم الشاعر في هذا البيت المفردة القرآنية «العرجون» مقتبساً من قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾(17).

يحثّ الشاعر في هذا البيت الإنسان على الامتثال والاقتداء بأهل بيت رسول الله (ﷺ) والاستضاءة بنورهم، لأنّهم هم الشّفعاء في الدارينِ محرّضاً على التّحلّي بمكارم القادة الدينيين خاصّة النبيّ (ﷺ) ، وبهذا يتمّ الإنسان خلقاً وكرامة ليسلك مسلك التكامل الخلقيّ والدّينيّ؛ لأنّه (ﷺ) كان على خُلُق عظيم. لاحظنا أنّ العلاقة بين النصّ القرآنيّ والنصّ الشعريّ قادمة على التضافر في إظهار الدلالة المطلوبة من خلال غرس المفردة «العرجون» في النص الشعريّ ليحمل الدلالة نفسها التي حملها السياق القرآنيّ.

أراد الشاعر من خلال هذه المفردة أن يظهر ما يحدث للإنسان من تغيير وتبديل للأفضل، فكان التناصّ بهذه المفردة مرادفاً في دلالته لما جاء في السياق القرآنيّ. هذه المفردة القرآنية ذات إشعاعات ودلالات لا تختفي رغم استخدامها في السياق الشعريّ وتعطيه طاقة إيحائية ودلالية. فضلاً عن ذلك، فقد استعان الشاعر بمجموعة أخرى من المفردات القرآنية التي تكررت في مواضع متعددة في

شعره أهمّها: الحميم، الجنّة، اللؤلؤ المكنون، جهنّم، جبرئيل، الرحمن، الفردوس، ذو النّون، قارون، الحمأ المسنون، السلسبيل، و...

التناصّ بالتراكيب القرآنية:

قد أحرز التّناصّ بالتراكيب القرآنية مكانة مرموقة في شعر أبي العتاهية وناصرخسرو ونقصد به الاقتباس من الآيات القرآنية الذي عرّفه البلاغيّون بأنّه «تضمين الكلام نظماً، كان أو نثراً، شيئاً من القرآن والحديث لا على أنّه منه على طريقة أنّ ذلك الشيء من القرآن والحديث، يعني على وجه لا يكون فيه إشعار بأنّه منه، كما يقول في أثناء الكلام قال الله تعالى كذا...»[18]. يدلّ هذا على أنّ هذين الشاعرين لم يكونا بعيدينِ عن الإفادة من هذا الينبوع الثّرّ في شعرهما، ومن ثمّ نتطرق ههنا إلى التناصّ بالتركيب القرآنيّ الذي نقصد به ما تجاوز اللفظة الواحدة ليشمل آية كاملة أو جزءاً منها لتأدية تلك الوظيفة المشابهة دون زيادة أو نقصان، أو بمعنى آخر هو تضمين الشعر آية قرآنية بلفظها وتركيبها دون تغيير حتى يتسنّى استعمالها في إطار تلك دلالتها القرآنية، لحصول الغاية من تلك التي هي إيضاح المعنى وتقوية الكلام، ويعدّ هذا التّناصّ «نوعاً من الامتصاص الشكليّ والوظيفيّ على صعيد واحد» [19].

من نماذج ما ورد في شعر أبي العتاهية بالتراكيب القرآنية ما يقول:

أَلا **إلى اللهِ تَصِيرُ الأُمورُ** ما أَنتِ يا دُنياي إلاّ غُرورُ[20]

استخدم الشاعر النص القرآنيّ «إلى الله تصير الأمورُ» من قوله تعالى حيث يقول: ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾[21].

ضمّن الشاعر هذه الآية القرآنية للتعبير عن مغبّات الأمور ومصيرها في الحياة الدنيا تنبيهاً للمخاطب أو الساهي على أنّ هذه الأمور بيد الله تعالى وهو فعّال لما يريد، تقوية للأسس الدينية والعقائدية في ذهنه. يكشف في الشطر الثاني عن تفاهة الحياة وسرعة زوالها وينبّه الإنسان على عدم الافتنان بها. ظهر النسيج الشعريّ موافقاً ومتلاحماً مع النسيج القرآنيّ شكلاً ودلالةً ممّا انجرّ إلى تكوين التّناص بالشكل والمضمون. فالهدف الذي يريده الشاعر ههنا هو استحكام كلامه الشعريّ بالتركيب القرآنيّ النّصيّ ليعثر على مزيد من القبول والاستحسان عند الآخرين، وهو من خلال استحضار الآية ينمّ عن قدرة الله تعالى ونهاية الأمور، وهي أنّ مصير الأمور كلّها يعود إليه تعالى. وخلق الشاعر حالة مشابهة لمضمون الآية.

يقول في موضع آخر:

إن قَدَّرَ اللهُ **أمراً كانَ مَفعولاً** وكَيفَ نَجهلُ أمراً ليس مجهولا
إنّا لَنَعلَمُ أنّا لاحِقونَ بِمَن وَلّى ولكنّ في آمالِنا طولا[22]

استلهم الشاعر هنا قوله تعالى حيث يقول: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن **لِّيَقْضِيَ اللّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا** لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[23].

يعبّر الشاعر في هذا البيت عن قدرة الله تعالى في تدبير الشؤون وإدارتها معتقداً بأنّ هذا أمر لا غبار عليه محرّضاً الإنسان على الإيمان بالمقدّرات الإلهية لتقوية رضا الإنسان بما قسم المليك له في الحياة الدنيا. وفي البيت الثاني يميط اللثام

عن احتقار الدنيا ويحذّر المخاطب من إطالة الآمال والاغترار بها، لأنّ الآمال في الحياة الدنيا كالسراب الخادع، وعلى الإنسان أن يؤمّل حياة خالدة لا زوال فيها وهي الحياة الأخرى التي يشعر الإنسان فيها بالسعادة وبلوغ الآمال، وهذا هو الأمل الخالد المقيم.

كوّن التناصّ ركيزة شعورية فعّالة في نفسية المتلقي وانسجم فيها النصّ الشعريّ مع النصّ القرآنيّ لترسيخ التعالق التناصيّ بينهما، لتحقيق الانسجام والتلاحم مع ما أتى في الآية الكريمة والتي تؤكّد على أنّ الأمور جميعًا بيد الله تعالى مستهدفًا اطمئنان النفس والتشديد على إيمانه بقدرة الله تعالى وقضائه وقدره.

يقول في موضع آخر:

الموتُ حقٌّ والدّارُ فانيةٌ وكلُّ نفسٍ تُجزى بما كَسَبَت[24]

رأى الشاعر اندثار الحضارات المختلفة والبيوت المأهولة حسنة البنيان، ثمّ ما آل بها الموت إلى الانهيار والتلاشي وأصبحت خبراً بعد عين. فشاهد بعينه ذلك المصير المحتوم التي انجرت إليه تلك الدور والأبنية المشيّدة، وينعاها إلى أهلها بقوله: الموت حقٌّ. فمن ثمّ استلهم في الشطر الثاني من قوله تعالى للتعبير عن التذكير والاعتبار حيث يقول: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[25].

أمّا التّناصّ بالتراكيب القرآنيّة في شعر ناصرخسرو فقد ظهر في ثنايا أشعاره مرارًا ممّا يدلّ على استئناس الشاعر بالينابيع الإسلامية خاصة القرآن الكريم ومدى تأثره به. إذا أجلنا النظر في تضاعيف شعره يتبين لنا أنّ الشاعر أراد بهذا النوع من التناصّ إيقاظ النفوس الغافلة والتذكير بما نُسي في المجتمع الإنساني من المعارف الإلهية والشرائع الدينية. ومن جرّاء هذا النسيان انغمس المجتمع خاصة الحكّام في

الملذات الدنيوية ومغرياتها. أخذ الشاعر على عاتقه إحياء المجتمع الإسلاميّ القائم على الشريعة الإسلامية بعيداً عن الجور والعسف والاعتداء على الحقوق.

من أمثلة هذا التّناصّ بالتراكيب القرآنية قوله:

چه خطر دارد اين پليد نبيد عند كأسٍ مزاجها كافور ؟[26]

أي: أيّ خطر لهذا النبيذ النجس عند كأس مزاجها الكافور؟.

اقتطع الشاعر في هذا البيت جزءًا من الآية القرآنية التي تقول: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ﴾[27]. يحثّ الشاعر في هذا البيت المخاطب على التمسّك بالمكارم الأخلاقية في الدّنيا لنيل الثواب في الحياة الأخرى معتقدًا بأنّ المتنافسين أن يتنافسوا في ذلك. إنّه يحبّ الخمرة الإلهية الممزوجة بالكافور ويحرّم الخمرة التي يشربها الإنسان في الدنيا ويصنعها بيده، ذاهبًا إلى أنّ الخمرة الدنيوية لا قيمة لها بالنسبة إلى الخمرة الإلهية ويحذّر الإنسان من مهالك القذرات الدنيوية ومغبّاتها ويريد منه الاجتناب منها.

يظهر تلاحم وانسجام كبير بين النّصّينِ القرآنيّ والشعريّ، وللقارىء أن يعبر السياق القرآنيّ وصولًا إلى الدّلالة النّصيّة دون التعلق بالنصّ القرآنيّ فقط، لأنّ النصّ القرآنيّ كلوحة تتجلي فيها الدّلالة النصية للإشارة إلى الواقع والمراد. تعود مرجعية التناصّ في هذا البيت إلى المرجعية القرآنية القائمة على المستوينِ: المستوى الفنّيّ الذي يرتبط بالشعر من الناحية الإبداعية، والمستوي السيكلوجيّ الذي يتعلق بالمجتمع الذي عاشه وما أحاط به من الفساد والانحراف، فأبدع الشاعر تناصًّا منسجمًا ومتلاحمًا مع المعنى المطلوب.

يقول في موضع آخر:

هو الأول هو الآخر هو الظاهر هو الباطن منزه مالک الملکی که بی پایان حَشَر دارد [28]

أي: هـو الأوّل والآخـر والظـاهر والبـاطن، المِلِك المنزّه الـذي يمتلـك خَدَمَـة كثيرين.

اقتطع الشـاعر الشـطر الأول مـن قولـه تعـالى:﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(29).

أشار الشاعر ضمن هذا البيت إلى توحيد الله تعالى في السماوات والأرض وهـو يرصـد مـا يفعـل الإنسـان علـى الكـرة الأرضية وهـو عليم بـذات الصـدور. علـى الإنسـان ألاّ يقـترف ذنبًـا في العـالم الـذي هـو مشـهد مـن مشـاهد الله تعـالى. يعتـبر الشـاعر جميـع الـورى بمثابـة الحشـم والخـدم في خدمـة الله تعـالى، وعليهم أن يـدبّروا شؤونهم حسب مـا أمر الله تعالى. جـاء النسيج الشعريّ موافقًـا مـع النسيج القرآنيّ شكلاً ودلالةً ممـا انجـرّ إلـى تكـوين التنـاصّ بالشـكل والمضـمون. حمـل ههنـا التنـاصّ القرآنيّ قيمة تعبيرية داخل النسيج الشعريّ وأخرجه إلى دلالات تتكثف من خلال تشابك البنى النصّيّة مع المضمون الدينيّ.

إنّ الذي يسترعي الانتباه في مجال التناصّ القرآنيّ في شعر ناصرخسرو هو أنّ الشاعر اقتبس في شعره كثيرًا من مضامين الآيات بالنسبة إلى الآيات نفسها وأخذ معظـم مفاهيمـه الشـعرية منهـا وإن لم يأت بالنّصّ القـرآنيّ نفسـه، وهـذا لا يعـني أنّـه أهمـل الآيات، بـل جـاء التّنـاصّ مـع الآيات القرآنيـة في صـور مختلفـة وفقًـا لآليّـات متنوعة. ارتبط بعض الآيات بالقصص القرآنية، وجاء بعضها في قالب الحوار، ومنها مـا يتصـل بالصـورة أو الإيقـاع أو القافيـة أو الشخصـيات القرآنيـة. إنّ الـذي يميـز ناصرخسرو من شعراء السبك الخراسانيّ هو أسسه الفكرية وما جاء به في شعره من المفـاهيم الدينيـة التي سيطرت علـى ديوانه الشـعريّ حيث نكـاد لا نجـد هـذا الحشـد الكبـير مـن الأسـس الدينيـة بـين متقدميـه ومعاصـريه، ولاسـيما أنّ ناصرخسـرو كـان

مبلغًا دينيًا أخذ على عاتقه مهمّة دينيّة وهي بثّ المبادىء والأسس الفكرية للمذهب الإسماعيلي، وهذا مما جعله أكثر اكتراثاً بالميراث الدينيّ.

يتّضح لنا مما سبق أنّ التّناصّ ظهر في شعر هذين الشاعرين باللفظ والمعنى تقريبًا، إذا تجاوزنا بعض التغييرات البسيطة في الألفاظ، فجاء الالتزام بالتراكيب القرآنيّة بمعناها الوارد في السياق القرآنيّ، حينما التزم الشاعران بإيراد هذه التراكيب في مواقف مماثلة لتلك الدلالة.

التناصّ بالمعاني القرآنية:

المراد من هذا النوع من التّناصّ هو أنّ الشاعر لا يأتي فيه بالآيات القرآنية أو مفرداتها بعينها، بل يسوق الكلام مساق المفاهيم القرآنية دون استحضار نصّها عن طريق الإشارة أو قرائن تدلّ على تلك المفاهيم القرآنية، وهذا الأمر يقيم صلات وثيقة بين النّصّ الحاضر والنص الغائب. انطلاقاً من هذا الموقف، على القارىء أو السامع أن يكشف عن الصلات الوثيقة بين الشّعر والنّصّ القرآنيّ الغائب لتحديد مدلولاته، وهذا يلعب دوراً هامّاً في امتصاص النّصّ الغائب وإعادته في ثوب قشيب جديد. يتعلق نجاح الشاعر في توظيف التّناصّ إلى الإبانة عن صورة العلاقة التي يقيمها بين نصّه وبين النّصوص المتناصّة، فحينما أحسن توظيفها أسهمت في التعبير عن دلالة النصّ.

من نماذج هذا النوع من التّناصّ بالمعنى القرآنيّ ما ورد فيّ شعر أبي العتاهية قائلاً:

سُبحانَ مَن لا شيءَ يَعدلُهُ كَم من بصيرٍ قَلبُهُ أعمى[30]

استوحى الشاعر المعنى الوارد في البيت من قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ **وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ التي في الصُّدُورِ**﴾[31].

نجد من خلال هذا التّناصّ أنّ هناك تقاربًا دلاليًا بين الآية القرآنية والنصّ الشعريّ، إذ إنّ الآية تتحدث عن الاتعاظ والاعتبار بما خلق الله تعالى في السماوات والأرض من الآيات، ثم تطرّقت إلى ذكر الجوارح والأعضاء للكشف عن دورها في فهم المعاني القرآنية وتذوّقها، وأخيراً أتت بعمى القلوب إثر عمى الأبصار قائلة إنّ بعض أبناء البشر يلحدون ويكذّبون بالآيات القرآنية، ومن ثمّ تعمي أبصارهم وقلوبهم معًا ولا يفقهون شيئًا ويختم الله على قلوبهم وأبصارهم. يريد الشاعر ههنا بإسداء النصح والموعظة للمتلقي حتى لا يكون من أولئك الذين نسيهم الله تعالى في الدنيا ولا ينظر إليهم في الآخرة محذّراً من مغبّات الكفر حتى لا يسقط في فخّها.

هذا هو المعنى الذي أراده الشاعر من خلال الأسلوب الخبريّ الوارد في البيت الشعريّ، فضلاً عن التقارب الدّلاليّ والوظيفيّ بين الآية الكريمة والنصّ الشعريّ. نجد أنّ هناك تشابهاً في الصياغة، وكلّ من الآية الكريمة والنصّ الشعريّ يعتمد على الأسلوب الخبريّ في كلتا الصياغتين، فورد التناصّ ههنا لامتصاص المعنى والأسلوب القرآنيّ.

من الأمثلة الأخرى ما أنشد أبوالعتاهية:

أَلا يا بَني آدَمَ استَنبِهوا أَما قَد نُهيتُم فَلَم تَنتَهوُا

أَيا عَجَباً من ذوي الاعتبا رِ ما مِنهم اليومَ مستنبهُ

طَغَى النّاسُ حتّى رَأَيتُ اللَّب يبَ في غَيِّ طُغيانِه يَعمَهُ[32]

استوحى الشاعر المعنى الوارد في الشطر الثالث من قوله تعالى:﴿مَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[33].

وظّف الشاعر هذا المعنى القرآنيّ النبيل للتعبير عن اجتناب الغفلة التي سادت الناس في عصره ممّا جعلتهم مقبلين ومنكبّين على ملذّات الدنيا ومغرياتها. أحسّ أنّ الذين تمتّعوا بالعقل والحكمة ينحرفون بعض الأحيان عن الصراط المستقيم ويتمثلون كالذين يمشون في الظلمات ويعمهون في الطغيان ويترددون في الحيرة، فكلّف الشاعر نفسه إيقاظهم من الغفلة والسبات الطويل محذرًا ناطقًا بلسان الترهيب والتحذير.

كذلك ورد التناصّ بالمعاني القرآنية في شعر ناصرخسرو، وهذا ينمّ عن توفّر ثقافته الدينية وإحاطته بالقرآن الكريم مع أنّه كان من حَفَظة القرآن الكريم. بعد أن أصبحت اللغة المستمدة من القرآن الكريم جزءًا من ذاكرة الشاعر وأسسه الفكرية اكتسبت إيحاءات داخل السياق الشعريّ وأحدثت نوعًا من تفاعل فعّال بين عناصر النصّ الشعريّ.

من أمثلة قوله ما يقول:

بر آنچه داری در دست شادمانه نباش وز آنچه از کف تو رفت از آن دریغ مخور[34]

أي: لا تفرح بما تملكه في اليد، ولا تأسف على ما ذهب من كفّك.

تكمن المناسبة التّناصيّة في مفهوم البيت من خلال توظيف معنى الآية القرآنية حيث أشار الشاعر في قوله إلى هذه الآية الكريمة: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[35].

نجد هنا مماثلة بين النصّ الشعريّ والصياغة القرآنية في الشكل والدلالة، وهو نوع من الامتصاص الشكليّ والدلاليّ للآية القرآنية. لم يوظف الشاعر هذا المعنى

القرآنيّ دون أيّ مبرر، بل أقام بينه وبين النصّ الشعريّ ارتباطًا وثيقًا، فأصبح جزءًا من بنيته، ويبيّن هذا أنّه ليس مجرد عملية اقتباس بحت، بل هذه العملية تكشف عن طاقاته الكامنة في النصّ الشعري المتناص.

ظهر التناصّ قائمًا على المماثلة والاستجابة لما أتى في الآية الكريمة، ووظّفها الشاعر لإيضاح الفكرة التي يتحدّث عنها مؤمنًا بأنّ القرآن الكريم يعطيه مصداقيّة وقبولاً للفكرة التي أراد انتقالها إلى المتلقي.

يقول في موضع آخر:

ای که نـدانی تـو همـــی قـدر شـــب سـوره والليـل بـخوان از كتاب

قدر شب اندر شب قدرست و بس برخوان آن سوره و معنی بياب[36]

أي: يا من تغفّل عن قدر اللّيل، إقرأ سورة «اللّيل» من الكتاب. قدرُ اللّيل في ليلة القدر وكفى، إقرأ تلك السورة واحصُل على المعنى.

لا يخفى على أحد مدى تأثير الموسيقى القرآنية وإيقاعاتها المألوفة في نفسية الإنسان، ومن هنا لم تنحصر العودة إلى النصّ القرآنيّ على المضمون وحده عند الشعراء، وإنما تعدّته إلى أسلوب القرآن نفسه وإلى أسماء السّور فقد ترسّب القالب الحواريّ لبعض السّور فضلاً عن أسمائها ليكسب النّصّ الشعريّ حسًّا روحيَّ المصدر ويقربه من الحقيقة[37].

جاء التناصّ في البيت من خلال الإشارة إلى السّورتينِ: هما «اللّيل» و«القدر» ليزداد التّلاحم والانسجام بين حضور النّصّينِ القرآنيّ والشعريّ ليبثّ نوعًا من القداسة في أفكاره. إنّيه أجمل ما أراد التعبير عنه بذكر اسم السورة، وإن كان يقصد بهما ما ورد في هاتين السورتين من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[38] و﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾[39] هنا ذكر

الشاعر الإجمال وطلب من المخاطب التفصيل والتوضيح بالإمعان وتدقيق النظر في الآيتينِ وإدراك ما فيهما من المعاني القيّمة التي تنسجم مع ما أراد الشاعر من إيصاله إلى القارىء.

نجد أنّ هاتين الآيتين وردتا في الحثّ على التمسك بشعائر الله تعالى والاعتبار بما خلق في العالم من الآيات الدالّة على وجود إله واحد، فحملت السورتان في تضاعيفهما إيماءات ذات تأثير نفسيّ ودلاليّ وفنّيّ في شعر ناصرخسرو. يستأنس الشاعر هنا بهاتين السورتين ويجعل لهما دلالة خاصّة في شعره، ومن هنا يتجلّي أثر هاتين السورتين في مخيلته للتعبير عن مكنوناته مما يدفعنا إلى استحضار السورتينِ للتعبير عن العلاقات المشتركة بين النصّ الشعريّ والقرآنيّ، إذ تعتبر أهمّ وسيلته للإيحاء بعواطفه وأحاسيسه.

إنّ القارىء لشعر ناصرخسرو يظهر له بوضوح أنّ الشاعر قد حرص على توظيف التراث الدينيّ في شعره ليختزل المفاهيم والمضامين القرآنية لأغراض هامّة، منها أنّه توجّه إلى قضايا المجتمع الإسلاميّ وما حلّ به من ويلات ونكبات، فأراد أن يجد طريقًا لحلّ مأساته ومأساة جميع الشعوب المسلمة لتخلّصهم من نير الاستبداد والجور. من أجل ذلك اتخذ الدين الحنيف وتعاليمه السمحة أفضل طريق لإزالة المآسي والمصائب، مع أنّه كان معتقداً بأنّ التراث الدينيّ له أهمية بالغة في نقل المضامين وبثّ المثل العليا والتأثير على المخاطب.

نتائج البحث:

يتّضح لنا ممّا سبق أنّ المصادر الدّينيّة خاصّة القرآن الكريم من أهمّ الروافد التي استقى منها أبوالعتاهية وناصرخسرو معظم معانيهما الشعرية. قد حصل البحث على النتائج التي من أهمّها ما تلي:

1- إنّ ظـاهرة التّنـاصّ ليسـت مـن المعطيـات والمصـطلحات الحديثـة الـتي نشأت نتيجة التّطوّرات الأدبيّة والتّواصل مع الثّقافات الأجنبيّة في عصرنا الحالي، بل ضربت جذورها في العصر الجاهليّ وتقوم على التّداخل والتّعانق بين النصوص الحديثة والقديمة، لكنها استحكمت وانتشرت عند بزوغ الإسلام وامتصّ الشعر معظم معانيه من الينابيع القرآنية والدينية حتى أصبحت هذه الظاهرة من أبرز سمات القصيدة العربية ليكسب دالاً حديثاً يعرف بـ «التّناصّ».

2- امتاز التناصّ في شعر أبي العتاهية وناصرخسرو بالبساطة والعزوبة عن الأوابد، لأنّه كان لغة خطابية مباشرة تستهدف التأثير في عقول الناس وإسداء النصح والموعظة وإرشادهم نحو التي هي أقوم.

3- بما أنّ أبا العتاهية وناصرخسرو قد قضيا فترة من الحياة في العبث واللهو، وانصرفا بعد سنين عن هذه الحياة العابثة الماجنة، وخصّصا بقية العمر للتزهد والتنسك والعبادة، فكان القرآن الكريم وآيه السامية والحديث النبويّ الشريف من أهمّ مصادر صحوتهما الروحية في الحياة. استهدف الشاعران في توظيف التناصّ القرآنيّ أغراضاً مختلفة، منها الإنابة إلى الله تعالى والاستغفار مما ارتكبا في الحياة من ذنوب وأثام، ومن هذا المنطلق كان القرآن والحديث النبويّ الشريف من أهمّ المصادر التي تأثّرا بهما في إيراد التناصّ القرآنيّ في تراثهما الأدبيّ.

4- يعتبر هذان الشاعران من الذين عبروا في شعرهم عن حاجة الشعوب المسلمة إلى المثل الدينية في المجتمع، فاستخدما الشعر أداة للتعبير عمّا نُسي وعُطّل في المجتمع من المثل الدينية السامية، وفي نفس الوقت صارا ضحية المواقف والمبادىء التي كانا يؤمنان بها.

5- تراوح التّناصّ القرآنيّ في شعرهما ما بين الاقتباس للنصوص الدينية كما هي دون تحوير عليها أو إشراب النصّ الشعريّ معان دينية مباشراً أو غير مباشر. تضمّن شعرهما حشداً كبيراً من المفردات والعبارات والمعاني ذات البعد الدينيّ والقرآنيّ ومصطلحات اقتصر استخدامها على القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف.

6- لا ريب أنّ التجربة الدينية عند الشاعرين قد منحتهما معرفة أوسع في كيفية التصرف بالنصين المتعالقين، فلم يكن استحضار النصّ القرآنيّ قائماً على الاستشهاد فحسب، بل تمّ التصرف وتحويره لخدمة الرؤية النصّيّة.

7-لم يأتِ التناصّ في شعرهما منفصلًا عن بنية النصّ الشعريّ، بل ظهر متوّجًا للنصّ الشعريّ من خلال التداخل مع التراكيب والمفردات الدينية أو استدعاء الشخصيات القرآنية أو أسماء السّور.

8- أثّر التناصّ الدينيّ في شعرهما أكبر تأثير في تكوين القصائد، إذ تنوّعت وتشعّبت مصادر الثقافة الدينية لديهما، فصارت القصص القرآنية وشخصياتها جزءًا من تجربتهما الشعرية.

الهوامش:

1- سعيد علوش: الأدب المقارن في العالم العربيّ. دار الكتاب اللبناني، بيروت: 1987م، ص.22

2- مُحَمَّد عناني: 1997م. المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة العالمية للنشر، ط2، القاهرة: 1997م، ص.99

3- عبد النبي اصطيف: التناص ظاهرة قديمة قدم الكتابة نفسها»، مجلة راية مؤتة. م2. ع2. 1993م، ص134.

4- جار الله محمود زمخشري: أساس البلاغة. تحقيق عبدالرحيم محمود. دار المعرفة، بيروت: 1982م، ص88.

5- مُحَمَّد مرتضى الحسينيّ الزبيديّ: تاج العروس. تحقيق عبدالكريم العرباويّ. وزارة الإعلام، الكويت: 1979م، مج4، مادة نصّ.

6- جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب. دار المعرفة، مصر: د.ت، مادة نصّ.

7- مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآباديّ: القاموس المحيط. المطبعة الأميرية، مصر: 1923م، مادة نص.

8- ابن منظور، السابق.

9-Ducourt,Toodrow.1979. Encyclopedia Dictionary of Language, London.

10- جوليا كرستيفيا: علم النصّ. ترجمة فريد الزاهي، ط1، دار تبقال للنشر والتوزيع والدار البيضاء. المغرب الإسلاميّ: 1979م، ص .79

11- أحمد الزعبي: التّناصّ نظريًا وتطبيقًا. ط2. مؤسسة عمون للنشر، الأردن، ص.12

12- شلتاغ عبود شراد: أثر القرآن في الشعر العربيّ الحديث دار المعرفة، دمشق: 1987م، ص.12

13- علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربيّ المعاصر، مؤسسة المختار للنشر القاهرة: 1997م ، ص.75

14- جابر قميحة: التراث الإنسانيّ في شعر أمل دنقل، ط1، هجر للطباعة والنشر، القاهرة: 1987م، ص.48

15- يوسف خليف: تاريخ الشعر في العصر العباسيّ، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة: 1981م، ص85.

16- ذبيح الله صفا: تاريخ ادبيات در ايران. مج 2. ط8. فردوس، تهران: 1366 هـ، ص.452

17- أبوالفتح عثمان ابن جنّيّ: الخصائص. تحقيق مُحَمَّد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت: 1952م، ص.321

18- إسماعيل عزالدين: في الشعر العباسيّ الرؤية والفن، دار المعارف، بيروت: د.ت، ص.289

19- مُحَمَّد عبد المطلب: قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: 1995م، ص 170.

20- إسماعيل بن قاسم بن سويد بن كيسان أبو العتاهية: أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، دار الملاح للطباعة والنشر، دمشق: 1965م ، ص106.

21- سورة ق: 19

22- أبو العتاهية، السابق، ص.155

23- غافر: 39

24- أبو العتاهية، السابق، .459

25- سورة الأنعام: 96

26- ناصرخسرو قبادیانی: دیوان اشعار حکیم ناصرخسرو قبادیانی. چاپ هفتم. اهتمام مجتبی مینوي ومهدي محقق. دانشگاه تهران، تهران: 1387ه، ص.30

27- سورة النجم: 9

28- قبادياني، السابق، ص.27

29- سورة يس: 39

30- سـعدالدين التفتـازانيّ: شـروح التلخـيص، ط1، مكتبـات مصـر، القـاهرة: 1347هـ، ص.450

31- عبد المطلب، السابق، ص .177

32- أبو العتاهية، السابق، ص.172

33- سورة الشورى: 53.

34- أبو العتاهية، السابق، ص292.

35- سورة الأنفال: .42

36- أبو العتاهية، السابق، ص.54

37- سورة الغافر: .17

38- قبادياني، السابق، ص.77

39- سورة الإنسان: 5.

Ettawassol El Adabi

ISSN 1112-7597 / Dépôt légal: 2007-4999

Revue de littérature générale et comparée, de critique et de traduction semestrielle à comité de lecture

Publiée par le laboratoire de littérature générale et comparée

université Badji Mokhtar / Annaba (Algérie)

N° 07 **Décembre 2016**